وجه من التربية العسكرية للشيعة

إهتم الأئمة عليهم السلام بتربية شيعتهم أعظم الاهتمام، وتعددت الوجوه والطرق التربوية في هذا المقام: فمنها إرشادات ونصائح، ومنها نقد وتوجيه، ومنها تحذير وتشديد، ومنها شرح وتعليم، ومنها توضيح وتفصيل.

كانت مضامين هذه الطرق مضامين تتصف بمواصفات مهمة جعلت لها أهميتها الخاصة، ومن بعض خصالها أنها:

١- متنوعة.

٢- مترابطة.

٣- تكاملية.

٤- تامة في تحقيق الأهداف المقصودة.

وغيرها من الخصال التي ليس المقام لبيانها.

ومن أهم هذه المضامين بيان أهمية الفكر وحملة الفكر في المحافظة على العامة من الناس، بل وفي تحويلهم من البساطة المعلوماتية والضعف الفكري إلى مثقفين ونخب فكرية تحارب حزب الشيطان وأوليائه بالفكر والمحاججة المنظمة والحجج الدامغة المحقة.

وقد وصلتنا الكثير من نصوص العترة المطهرة في بيان هذه الحقيقة، والتي هي حقيقة وجودية للكيان الشيعي وليست ترفية، فبدون التواصل العلمي بين العالم والجاهل تضيع الحقائق بين الجهالات المتراكمة.

ولهذا فإن كل من ينطلق منطلقا باطلا يكون زاده وديمومته الخرافة، والتقلب بحسب الأهواء، والأخذ بكل جديد؛ لتُبهر به العامة، ثم يُخدعون بهذا عن العلماء.

ولكن تبقى وظيفة أهل العلم والتبين والتفكر تبيان الحقائق ما تمكنوا، ورفض المخادعات والمنكرات التي تصدر من هذا وذاك.

ومن النصوص المفصلة في هذا المجال ما ورد عن الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين) حيث قال:

(إِنَّ مِنْ مُحِبِّي مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ (صلوات الله عليهم) مَسَاكِينَ، مُوَاسَاتُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ مساواة [مُوَاسَاةِ] مَسَاكِينِ الْفُقَرَاءِ، وَ هُمُ الَّذِينَ سَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَ ضَعُفَتْ قُوَاهُمْ عَنْ مُقَابَلَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ يُعَيِّرُونَهُمْ بِدِينِهِمْ وَ يُسَفِّهُونَ أَحْلَامَهُمْ، أَلَا فَمَنْ قَوَّاهُمْ بِفِقْهِهِ وَ عِلْمِهِ حَتَّى أَزَالَ مَسْكَنَتَهُمْ، ثُمَّ سَلَّطَهُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ الظَّاهِرِينَ النَّوَاصِبِ، وَ عَلَى الْأَعْدَاءِ الْبَاطِنِينَ إِبْلِيسَ وَ مَرَدَتِهِ، حَتَّى يَهْزِمُوهُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَ يَذُودُوهُمْ عَنْ أَوْلِيَاءِ آلِ رَسُولِ اللَّهِ (صلوات الله عليهم)، حَوَّلَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْمَسْكَنَةَ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ، فَأَعْجَزَهُمْ عَنْ إِضْلَالِهِمْ، قَضَى اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ قَضَاءَ حَقٍّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله)[1].

ويستفاد من الحديث المبارك الأمور التالية:

١- يوجد بين الشيعة من هو ضعيف أمام أعداء الله تعالى ولا يستطيع مقاومتهم علميا، لشيطنة

١- بحار الأنوار: ٢/ ٧.

أعداء الله تعالى ولعدم تنظيم الشيعي لنفسه فكريا والإستعداد ثقافيا للمحاججة والمناقشة؛ فيكون أمام الخصم كالمسكين الفقير لا يستطيع أن يكتفي بما عنده في معيشته، وهكذا المؤمن غير المثقف وغير المتعلم لا يستطيع أن يكتفي بما عنده في صيانة دينه، فيكون خائر القوى أمام خصمه.

٢- إن الأعداء المتكالبين على المؤمن الضعيف فكريا على شكلين: أعداء ظاهرين واضحين: وهم النواصب الذين يبغضون رجالات دين الله وأركان وجوده (علي وفاطمة وذريتهما المطهرة عترة رسول الله المعصومة صلوات الله عليهم أجمعين).

وأعداء من الباطن والداخل: وهم الشياطين الذين يضعفون الإنسان داخليا ويشككونه ويوسوسون له بما يقرب قول الناصبي إلى قلبه.

٣- وهنا تأتي مهمة المتعلمين والدارسين والمتفقهين في دين الله تعالى فعليهم إحتواء الفئة ا لضعيفة.

ويبين الإمام عليه السلام أن هذا الاحتواء يكون على مرحلتين:

أ- مرحلة التعليم والتقوية الفكرية، بحيث يكون للمؤمن القوة والفكر الذي يقاوم العدوين، فلا يقبل بقول الناصبي ويجده سخيفا سمجا لا يقاوم الفكر الحق، ولا يخضع للوسوسة الشيطانية لمعرفته بالحقيقة على وجهها المشرق النير المبين.

ب- مرحلة تسلط المؤمن على الناصبي وتقويته

عليه بفكر يتجاوز مرحلة الفهم الصحيح للحقائق إلى مرحلة رد ما عليه من شبهات، وإستخراج شبهات العدوَّين وتفنيدها.

٤- ومن كل ما سبق نحصل على النتيجة الحتمية، وهي إضعاف العدوَّين؛ فلا يستطيعان -وإن تظاهرا وتكاتفا- مخادعة ذلك المؤمن الضعيف، لأنه قد تحول إلى مؤمن قوي بفضل الفقهاء والمتعلمين من إخوانه المؤمنين.

ومما سبق يمكن أن نقول:

١- وجود نوعين من المؤمنين: من لديه من العلم فلا يُقهر، ومن ليس لديه علم وهو في معرض الخطر؛ والحل هو رفع الضعيف إلى مستوى القوي.

ولكن من الطبيعي أن هذا يتطلب جهدا من القوي في رفع الضعيف، وجهدا من الضعيف في دفع نفسه إلى مستوى القوي، وأنه لابد من أن يكون الضعيف راغبا بتعلم دينه متوفرا على ما يتمكن من القدرات العقلية والمهارات الفكرية والتعلمية والإجتماعية.

٢- إن رفع القوي للضعيف يكون على درجات ومراتب، ولا يمكن أن نطلب من إنسان أن يكون عالما مباشرة، بل لابد من الترتب والتدرج؛ وعلى من يرتقي المعالي أن يتحمل المصاعب، وعلى من يأخذ بيد من هو أضعف منه أن يكون مؤهلا لأن يُأخذ منه، لتمامية علمه، وتواضع شخصه، وحسن إدارته، وإخلاص نيته.

٣- لابد من الوثوق بالله تعالى والعمل على خطين:

خط نفسي وجداني مبني على أساس عقلي فكري، وهو أن المحتوم المؤكد الذي لا ريب فيه خسارة حزب الشيطان.

وخط عملي.

ومقدمة العمل العلم بالتكليف وبما يجب على العامل، فيبذل جهده في التعلم وفي العمل؛ وأن يقوم كل واحد منا بتكليفه والله سبحانه وتعالى هو من سيُخرج الثمار فبيده كل شيء.

فصلوات الله على الحسن العسكري، والحمد لله الذي وفقنا متفضلا وأعطانا ممتنا ورزقنا كبيرا متكبرا لولاية إبنه المنتظر، والإيمان به غيبا عظيما لا ندرك بحره ولا قدرة للغوص في عمقه، لضعف الألباب والتمسك بالقشور وترك اللباب...

فنسأله تعالى أن يغفر لنا وأن يثبت حب آل محمد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) في قلوبنا وألبابنا، ويجعلنا على هداهم في كل حركة وسكنة وكل قول وفعل جوارحا وجوانحا... إنه خير من سمع وأحسن من أجاب.

والحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية
١٠

وجه من التربية العسكرية للشيعة

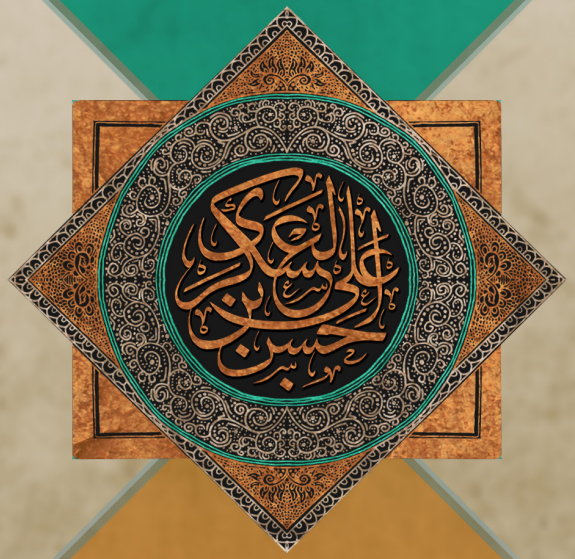

الشيخ محمد آل حيدر